تأملات في مصرع الحسين

استشهاد في التأريخ — الامويون والهاشميون — الهجرة وعاشوراء —

بقلم : سعادة الاستاذ عبد الغني الدلي
مدير المصرف الصناعي العام

تعاودنا ماعاد (المحرّم) هذه الذكرى ذكرى الحسين الشهيد، ذكرى مخضبة بالدماء والدموع. تعاودنا ذكرى الامام حفيد الرسول يرفع صوته في الحجاز محتجاً على شطط السياسة الاموية في الشام ثم يقدم العراق على عهد من أهلها ما يكاد يبلغها حتى ينتقض عليه المبايعون وينفض عنه المشايعون والمريدون ثم يجد نفسه وابناء عشيرته ونفر قليل من انصاره المخلصين وجهاً لوجه أمام الألوف المؤلفة من عساكر الدولة تحاصره وتطلب اليه النزال او الاستسلام. وهو هاشمي ذو إباء وعقيدة فلا يتراجع ولا يتردد ولا تحدثه نفسه بالخضوع وانما يقتحم المعركة بشجاعة وايمان ويقاتل هو ومن معه حين يهلك دونه كل من استطاع حمل السلاح من انصاره وابنائه وذويه، ويظل هو مفرداً، مثخناً بالجراح ويقارع حتى يستشهد في حومة الجهاد.

ليس في التاريخ نظير لهذا المصاب سواء من حيث اشخاصه او ظروفه او نتائجه. فلم يكن ليدور بخلد احد ولن يجد التاريخ مبرراً لأن تقترف جماعة مسلمة جريمة القتل بابن بنت نبيها ولما يمض على دعوة الرسول (ص) جيل واحد! ولم يشهد التاريخ موقفاً في مقاومة الظلم والثورة على الباطل اروع وابلغ واشد من موقف الحسين «ع». ولم يقدر لحادث ان يشغل من قلوب الناس وعقولهم طيلة عصور مديدة ماشغله يوم الطف في كربلاء.

لقد شاء قوم ممن عموا أو تعاموا ان يستكثروا على الحسين هذا الموقف الخطير وان يأخذوا عليه هذا الاندفاع في سبيل الحق! فهم ينكرون فضيلة الاباء والتمسك بالعقيدة حتى الموت، وهم ينسون ان الحياة ان هي ومضة او اختلاجة قد تمتد ضعيفة وتسير متوانية تلتمس طريقها بين الحق والباطل او تتوهج دفعة واحدة فتثور كي ترد ظلما او تقطع شراً. قد لا يبصره سواها، او تستشهد في هذا السبيل. انهم ينكرون عظمة «سقراط» الذي فضل ان يتجرع كأس السم على ان يرجع عن آرائه واقواله وهم لا يدرون قدسية المسيح «ع» الذي احتمل كل اضطهاد واذى حتى رفعه الله اليه. وهم ينكرون اولا يدركون انه لولا هذه الامثلة الرفيعة من التضحية والجهاد في سبيل الرأي والعقيدة لظلت الإنسانية تتخبط في بربرية القرون الاولى ولما انكشفت للناس طرق العلم ومسالك الأخلاق والفضيلة. ولقد فاتهم ان عصرنا هذا على مافيه من ارتقاء العلوم ووفرة المخترعات وزيادة الرفاه سيظل من ايشد العصور فقراً واقربها للفوضى والانحدار ما زال خلواً من القديسين والشهداء!

ولقد شاء قوم ان يدافعوا عن فعلة [يزيد] وان يبرأوا ساحة الأمويين، فراحوا يشيدون بقوة الامويين وفتوح الأمويين وعصبية الامويين. وليس من أحد يشك ان معاوية كان داهية فذاً وان عبد الملك كان منظماً وفاتحاً وان عمر ابن عبد العزيز كان رجلا صالحاً الا ان الصراع بين الامويين والهاشميين لم يكن صراعاً بين اشخاص وانما كان صراع مبادئ واعتقاد. فالأمويون هم الذين قوضوا اسس الخلافة الاسلامية الأولى المبنية على المشورى وهم الذين بذروا الشقاق واثاروا العصبيات القبائلية تلك العصبيات الجاهلية التي حاربها الرسول وخلفاؤه الراشدون. ولقد كان [يزيد] من اشد الناس هزءاً بمبادئ الاسلام واجباراً بخرقها وتحللا منها! والعرب لم يخرجوا من جزيرتهم ولم يفتحوا الفتوح الا تحت راية الاسلام وبوحي من مبادئه وتعاليمه. لقد خرج العرب من

باديتهم خشناً عز لا لاعدة لهم الا ايمانهم ولا سلاح لهم غير عقيدتهم واخلاقهم. وقد واجهوا ذلك العالم الجديد الذي فرش تحت اقدامهم ماخلفه الروم والفرس من لذاذات ومغريات ، فهل يتخلون عن دينهم وعقيدتهم وينغمرون فيه أم يتمسكون بما نفخ الاسلام في صدورهم من روح عالية ومبادئ رفيعة حتى يبنوا حضارة جديدة ، طاهرة ، سامقه ، كما اراد لهم محمد ؟ ! هذا هو جوهر الصراع بين الحسين (ع) و(يزيد) وعلى ضوء هذا التحليل نجد ان مقتل الحسين « ع » انما كان ضربة موجهة الى صميم العروبة والاسلام وكان ايذانا بتدهور العرب ومقدمه لزعزعة اركان الاسلام وموقفه موقف الدفاع طيلة هذه القرون .

لاأود أن أختم هذه التأملات من غير الاشارة الى بادرة مازالت تقلقني وتؤذيني واعتقد انها تقلق وتؤذي كل عربي وكل مسلم سليم . تلك هي هذه الدعوة التي شهدناها منذ عشر سنوات او يزيد للإحتفال بعيد الهجرة في اليوم الاول من شهر محرم الحرام . ولا يظنني أحد من الناس اننا ننكر الدعوة الى الاحتفال بيوم الهجرة اولا نريد اعلان السرور بذلك اليوم السعيد ولكننا لانجد مبرراً لاختيار اليوم الاول من محرم اذ لم يثبت بصورة قطعية ان الهجرة قد وقعت فيه ولسنا ندري لماذا اختار الدعاة المعاصرون هذا اليوم . ألكي نتشبه بالأقوام الأخرى في جعل اليوم الأول من السنة التقويمية عيداً لنا ؟ أم لكي نظهر للعالم صورة مؤلمة من التضارب والاضطراب بين المسلمين ومشاعرهم ، فيحتج بعض ويحزن آخرون في يوم واحد وميعاد؟ اللهم اننا لسنا بحاجة لهذا التنافر والصدود. واننا لأحوج مانكون الى الانسجام ووحدة الشعور ، فلنهيب بحملة الاقلام وارباب الرأي في كافة اقطار المسلمين ان يقرروا يوماً واحداً للهجرة يحتفل فيه جميع المسلمين ويقبلون عليه بقلوب صافيه لايشوبها حزن ولا كآبة ولندع محرم وأيامه الأولى كما كانت خاصة بذكرى الحسين وثورة لحسين وابناء الحسين .

بغداد — عبد الغني الدرلى

العباس بن علي (ع)

للمرحوم السيد خضر القزويني احد ادباء النجف اقتطفته يد المنون في النجف سنة ١٣٥٧ هجرية وبذلك قد خسرته انديه الادب وحلايبها

(البيان)

سار كب المجد المؤثل اجردا ... وأستل من بيض السيوف مهندا
واتخذ الرمح الرديني صاحباً ... واسرى بجنح الليل في مبيع الهدا
واقتحم الحرب العوان اخوضها ... وبحر المنايا قد تلاطم مزبدا
اذا ماخبت نيرانها فبرهفي ... ورمحي لظاها للسماء توقدا
وان شمرت آسادها فانا ابن من ... اذاشمروا اتاق العدى منهم الردى
اولئك ابائي الكرام فسل بهم ... غدات بارض الطف صالوا على العدى
اسود بيض الهند والسمر غادرت ... اميا على وجه البسيطة سجدا
وتالله لاانسى أبا الفضل مذ سطى ... عليهم وفي ماضيه ماظي القضا غدا
كأن القضا مذ صال طوع جسامه ... تراه وعزرائيل فيه تجسدا
بنفسي اخاً ماولد الدهر مثله ... أخاً في الوغى الا اباه لأحمدا
احال دجى الهيجا نهاراً بصارم ... ووجه يفوق البدر ليلا اذا بدا
ومذ ابرم المحتوم ماخطه القضا ... هوى لاثرى نفسي ورهطي له الفدا
واعظم خطب ان سبط محمد ... عليه غدى يبدى الفضيع من الندا
اخي قواي ان هدت فلا قوى ... اصول بها في النائبات ولا يدا
وطرفي عليك اليوم اضحى مسهداً ... وليس غريباً ان يبيت مسهدا
الست حسامي في الخطوب وساعدي ... اذا ناب خطب والزمان اذا عدا
فها انني لازلت بعدك مفرداً ... ولم أرعوناً في العدى لي ومنجدا
اترضى وحاشى ان ال امينة ... تراني وفيك الشمل مني تبددا
الاليت عيني ياأبا الفضل لم تكن ... ترالك على وجه التراب موسدا
فمن ذا الذي يرعى حماي ومخذمي ... تحطم في كفي ورمحي تأودا
ومن ذا الذي يحمي بنات محمد ... اذاماسرى الحادي وفي ضمنها حدا